كنوز الفرقان

مجلة علمية دينية ثقافية فى علوم القرآن الكريم

يصـــــدرها

الاتحاد العام لجماعة القراء

العدد السابع	رجب سنة ١٣٦٨ مايو سنة ١٩٤٩	رئيس التحرير على محمد الضباع	السنة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الدينى

الذى ألقاه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مامون الشناوى شيخ الجامع الأزهر فى قصر رأس التين العامر مساء الخميس ٤ من رمضان سنة ١٣٦٨، واستمع إليه حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبى الكريم ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين :

« قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ،

والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

قال الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل ، فأنزل عليه يوماً ، فلبثنا ساعة ثم سري عنه ، فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا . ثم قال: أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ « قد أفلح المؤمنون » حتى ختم عشر آيات » .

وهذه الآيات العشر جمعت خلال الخير ، وخصال البر ، واشتملت على أمهات الفضائل وجلائل الأعمال ، وهي مناسبة تمام المناسبة لآخر السورة التي قبلها ، وهي سورة الحج ، إذ يقول الله تعالى « يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم ، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ، ملة أبيكم إبراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ، ليكون الرسول شهيداً عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس ، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير » .

ففي خواتيم سورة الحج كان الرجاء من الله بالفلاح والفوز والرغبة في توقع الإجابة، فجاء أول سورة المؤمنين مجيباً رغبتهم ومحققاً رجاءهم، ومبشراً لهم بحصول ما كانوا يتوقعون .

وهذا المعنى مستفاد من كلمة (قد) الداخلة على الفعل الماضي ، فإنها في مثل هذا التركيب تكون جواباً لمستخبر يتوقع الفعل الذي بعدها ويرجوه .

وأفلح : فاز بالمرام ونجا وسعد وظفر ، وقد عبر بالماضي وأكد بقد فقال :

« قد أفلح » للدلالة على أن فوز هؤلاء المتصفين بهذه الصفات ، ونجاتهم وسعدهم وظفرهم ، كل ذلك حاصل لا محالة .

والمؤمنون : المتصفون بالايمان ، والايمان : هو التصديق الجازم المقترن بإذعان النفس وقبولها واستسلامها بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد بينت السنة النبوية ما يجب الايمان به ؛ قال الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إذا استطعت إليه سبيلا ، قال : صدقت ، فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال فأخبرنى عن الايمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال صدقت . قال فأخبرنى عن الاحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك . ثم قال لى : ياعمر أتدرى من السائل؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

قال تعالى : « الذين هم فى صلاتهم خاشعون » :

الخشوع : الخوف والتذلل والخضوع . والخاشعون فى الصلاة هم الخاضعون لله الخائفون منه ، الذين يخشونه بقلوبهم ، وإن من خواص الصلاة الصبر ، ونفى الجزع ، والنهى عن الفحشاء والمنكر ، فالمصلى الحقيقى هو البار الحقيقى الذى لا يترك الحق لأجل شهوة ، وهذا هو أثر صلاة الخاشعين .

وإن فى تقديم وصف المؤمنين بالخشوع فى الصلاة على سائر ما سيذكر بعد تنويهاً بشأن الخشوع فى الصلاة ، قال الله تعالى : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقاً ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » .

قال الله تعالى : « والذين هم عن اللغو معرضون » :

اللغو : هو الباطل ، واللهو ، وما لا يحمد من القول والفعل . والاعراض : الترك ، ومن ذلك ألا ينم الشخص على أخيه ولا يغتابه ، ولا يقول فيه مايؤذيه ولا يرضى بشىء من ذلك .

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير ، فقلت : يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار ، قال : لقد سألتنى عن عظيم وإنه يسير على من يسره الله عليه : تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير : الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل شعار الصالحين ، ثم تلا « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون . ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ فقلت بلى يارسول الله ، قال : رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد . ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت بلا يانبى الله ، فأخذ بلسانه وقال كف عليك هذا ، فقلت يانبى الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم .

وإذا كان كف اللسان لازما فى جميع الأوقات فهو ألزم فى الصيام ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فانه لى وأنا أجزى به ، والصيام جنة ، فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم ، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح ، وإذا لقى ربه فرح بصومه » . وقال صلى الله عليه وسلم « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه ».

قال تعالى : « والذين هم للزكاة فاعلون » .

الزكاة فى الاسلام : نظام مالى اجتماعى حدد العلاقة بين الأغنياء والفقراء فأوجب فى أموال المسلمين التى تحتمل المواساة مقداراً معيناً يؤخذ من أغنيائهم فيرد على فقرائهم ، والزكاة نظام اقتصادى يكفل العدالة الفردية ، والعدالة الاجتماعية ، وهو نظام وسط بين مذهبين متغاليين يمثلان طرفى الافراط والتفريط : رأس مالية قاسية جامدة ، وشيوعية إباحية ملحدة .

غلت رأس المالية فى تقديس المادة وجمع المال وعبادة الدرهم والدينار ، وغلت الشيوعية فيما سمته العدالة الاجتماعية ، وتظاهرت بالعطف على الفقراء ، فألغت الملكية الفردية وحرمت المجد من كده وتعبه ونصبه ، وحاربت السنن الكونية فى طبيعة الوجود ، فمنذ بدء الخليقة يوجد فى الناس القوى والضعيف ، والكسوب والعاطل ، والعالم والجاهل ، والنابه والخامل ، والصحيح والمريض ، وبمقدار تفاوتهم فى الصفات يتفاوتون فى الغنى والفقر ، والرزق والكسب ، وفى المعيشة ومتع الحياة. فمن حاول التسوية بينهم فقد حارب الطبيعة ورام المستحيل وخالف سنة الله فى خلقه ، يقول الله تعالى : « ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ، إن الله

كان بكل شيء عليما » ويقول عز وجل « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء ، أفبنعمة الله يجحدون » . ويقول سبحانه : «أهم يقسمون رحمة ربك،نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون » .

لاشك بعد هذا فى أن الشيوعية ماهى إلا إباحية مقنعة، ولا دينية مغلفة بغلاف العدالة الاجتماعية، فليتدبر المصلحون ذلك وليعرفوه وليحذروه، وليعلموا أن نظام الصدقة العامة ، والمواساة المشروعة فى الاسلام ، نظام يكفل العدالة الاجتماعية بأقصى معانيها متى أحسن أداؤها ، وقام كل مسلم بواجبه . فهاهى ذى مظاهر المواساة فى الاسلام واضحة جلية فى الزكوات المفروضة ، والكفارات الواجبة ، والصدقات المتنوعة ، قال الله تعالى « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» وقال عز شأنه : «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين » وقال جل وعلا « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » وقال سبحانه « يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد » وقال جل وعلا : « إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » وقال عز من قائل « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » وقال تعالى « ومن يوق شح

نفسه فأولئك هم المفلحون » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم : حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من يوم يصبح الناس فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفاً » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أطعم جائعاً أطعمه الله من ثمار الجنة ، ومن سقى مؤمناً على ظمأ ، سقاه الله عز وجل يوم القيامة من الرحيق المختوم ، ومن كسا مؤمناً عارياً كساه الله من خضر الجنة » وقال ابن عباس رضى الله عنهما « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون فى رمضان » .

اللهم وفقنا وإخواننا المسلمين إلى صالح الأعمال حتى ننال كمال رضاك . اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا .

اللهم اشمل بعفوك ورعايتك ، المؤيد بكلمتك ، المخلص فى طاعتك ، مولانا صاحب الجلالة الملك الصالح الموفق فاروقاً الأول .

اللهم كما أحسن إلى دينك وكنانتك فأحسن إليه ، وانصره نصراً مؤزراً ، اللهم أحيه حياة طيبة مباركة تعم بنفعها العباد والبلاد .

اللهم ياواسع الفضل والاحسان نسألك أن تتغمد برحمتك ورضوانك الراحل الكريم مولاى الملك العظيم صاحب الجلالة المغفور له الملك فؤاداً الأول . اللهم اجعله فى أعلى عليين مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

اللهم وفق رجال حكومة جلالة الملك إلى ما فيه الخير العميم . إنك سميع مجيب . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فى الاسلام بر بالفقراء والمساكين

شرع الاسلام عدة وسائل لمحاربة الفقر ومعاونة الفقراء ، ولو اتبع المسلمون ما سنه الاسلام من هذه الوسائل ماوجدت فى المسلمين مشكلة الفقر ، وما كثر بينهم عدد الفقراء ، وهذه أشهر وسائل الاسلام للبر بالفقراء والمساكين :

فأولا ـ فرض الاسلام زكاة المال ، وجعلها إحدى قواعد الدين ، فقال الله سبحانه « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » وقال عز شأنه « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين » وقال عليه الصلاة والسلام « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا » . وجاء رجل من تميم إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله : إنى ذو مال كثير وأهل وحاضرة ، فأخبرنى كيف أصنع وكيف أنفق ؟ فقال له رسول الله : « تخرج الزكاة من مالك فانها طهرة تطهرك ، وتصل أقرباءك ، وتعرف حق المسكين ، والجار ، والسائل » .

والزكاة جزء من مال الغنى ، فرض الله عليه أن يؤديه فى ثمانية وجوه من وجوه البر والخير ، بينها سبحانه بقوله « إنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل » فأول مصارف الزكاة ووجوه البر : الفقراء والمساكين .

وقد راعى الشارع فى فرضها العدل فى أموال الأغنياء ، والرحمة بالفقراء ،

والتوفيق بين مصالح الأغنياء ومعونة الفقراء ، وراعى أعدل مبادىء الاقتصاد فى الاتفاق ، والشرائط الواجب توافرها فى كل ضريبة عادلة .

وبهذا النظام العادل القائم على مراعاة التوفيق بين مصالح الأغنياء والفقراء كفل الاسلام تأمين المجتمع من غوائل الفقر وأحقاد الفقراء ، وجعل مال الغنى شركة بينه وبين الفقير ، ولكنها شركة لا تحرم الغنى من المتعة بغناه ويساره ، ولا تبيح للفقير العدوان على ملك غيره وماله ، ولا تسوى بين العامل والقاعد ، ولا بين المنتج وغير المنتج . فالله سبحانه صرح فى القرآن الكريم بأن فى أموال الأغنياء حقاً معلوماً للفقراء ، فقال سبحانه « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وصرح بأن الغنى فى إنفاقه على الفقير إنما ينفق مما رزقه الله ، ومن مال استخلفه الله فيه ، فقال تعالى « ومما رزقناهم ينفقون » وقال جل ثناؤه « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » وإنما أراد سبحانه بهذا حمل الغنى على أن يشكر نعمة الله عليه فيما رزقه ، ويؤدى منه حق الفقير مما استخلفه الله فيه . وما أراد سبحانه بهذا أن يحمل الفقراء على الاعتداء على مال غيرهم ، ولا أن يحول بين الأغنياء وبين المتعة بما أنعم الله به عليهم .

فالاشتراكية الاسلامية اشتراكية عادلة تتفق والفطرة السليمة والعدل بين الناس : للغنى ماله وثراؤه ، وللفقير فى هذا المال حق معلوم لا يمد عينيه إلى ماسواه .

وثانياً ـ أوجب فى عيد الفطر صدقة الفطر وجعلها من مكملات فريضة الصوم ، وبهذا يكفل للفقراء فى يوم العيد التوسعة عليهم ، ومشاركتهم لذوى اليسار فى جزء من نعمتهم . ومن شاهد المتصدقين وابتهاج الفقراء بصدقاتهم فى يوم عيد الفطر يدرك حكمة الشارع فى إيجاب هذا البر فى يوم العيد . وأوجب التضحية فى عيد الأضحى ، وجعل فى كل ضحية نصيباً للفقراء . ومن الفقراء من لا يشبعون من اللحوم إلا فى عيد الأضحى . وفى يوم عاشوراء وفى كل ليلة مباركة وفرصة مناسبة

ندب الشارع للمسلم أن يتصدق على الفقراء ، وجعل أفضل قربة لاحياء المواسم الاسلامية الصدقة على الفقراء . وبهذا كفل عدة أيام وفرص متكررة مواسم للفقراء .

وثالثاً ـ جعل كفارة الذنوب الكثيرة الوقوع التى لا يسلم المكلف من اقترافها الصدقة على الفقراء ، فمن حنث فى يمين فكفارته إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم ، ومن أفطر متعمداً فى رمضان ولم يستطع إعتاق رقبة فكفارته إطعام ستين مسكيناً . ومن أفطر فى رمضان لأنه لا يطيق الصوم ولا يحتمله إلا بجهد ومشقة كشيخ مسن أو مريض بمرض متزايد فعليه فدية طعام مسكين ، ومن قصر فى بعض مندوبات الحج أو ارتكب إثماً فى الحج فكفارته فدية وهى الصدقة .

وبهذا كفل الاسلام موارد دورية متكررة لمعونة الفقراء والبر بهم ، فالاسلام جعل غنى الغنى ويساره باباً لمعونة الفقراء ، وجعل آثام الأثيم وذنوب المذنب باباً لمعونة الفقراء ، وجعل الأعياد والمواسم الاسلامية فرصاً ومواسم للفقراء . وهذا أصدق برهان على أنه دين البر ، وعلى أنه لو نفذت أحكامه لأمن المجتمع شر الفقر وأخطاره .

ورابعاً ـ جعل فى إيراد الدولة العام حقاً للفقراء والمساكين . فالغنائم التى تغنم فى الجهاد أربعة أخماسها للغانمين وخمسها لليتامى والمساكين وأبناء السبيل . والمعادن والكنوز التى يعثر عليها أربعة أخماسها لواجدها وخمسها لليتامى والمساكين وأبناء السبيل .

وتركة من لا وارث له ومال اللقطة ودية القتيل الذى لا ولى له ، وكل مال لا يعرف له مالك ، فيصرف كما قال صاحب البدائع « إلى دواء الفقراء والمرضى وعلاجهم ، وإلى أكفان الموتى الذين لا مال لهم ، وإلى نفقة اللقيط وعقل جنايته ، وإلى نفقة من هو عاجز عن الكسب وليس له من تجب عليه ، وإلى نحو ذلك ، وعلى الامام صرف هذه الحقوق لمستحقيها » .

على هامش سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ».

ما أبهر الانسجام بين سورة « اقرأ » وسورة القدر ، فني سورة اقرأ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يقرأ القرآن مستعيناً باسم الله على تلقى الوحى من العلى الأعلى ، ثم جاءت القدر باعثة على هذه الاستعانة ، وحاثة على استكمال الرغبة وجمع الهمة النبوية ، وإفراغ الجهد فى تشرب الروح النبوية للقرآن ، ذلك أن الله وقد تناهي فى عظمته ، قد استقل بانزال هذا القرآن العظيم ، فى لحظات سعيدة ، وأوقات مباركة ، وساعات تجليات وإفاضات ، ورحمات وبركات ، فشرف عوالم الملكوت بانزال القرآن من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى ليلة القدر ، حيث أملاه جبريل عليه السلام على السفرة ، كما شرف سبحانه عالم الملك بنزول جبريل بهذا النور المبين ، على النبى الأمين ، على نجوم فى ثلاث وعشرين سنة ، وكان نزوله إلى سماء الدنيا فى ليلة مباركة ، فيها يفرق كل أمر حكيم .

قال جار الله : « وكان إنزالنا إياه فى هذه الليلة خصوصاً لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة ، وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم ، ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم منها إلى الأخرى القابلة ، فهى لهذا مباركة كثيرة الخير ، لما يتيح الله فيها من الأمور التى تتعلق بها منافع العباد فى دينهم ودنياهم ، ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة .

فالليلة جديرة بأن تسمى ليلة القدر، أى ليلة تقدير الأمور وقضائها، مصدر قولهم قدر الله الشيء قدراً وقدرا ، لغتان كالنهر والنهر .

وتستطيع أن لا تضل بك الشعاب إذا سلكت فى تحديد ليلة القدر الذى أنزل فيها القرآن مسلك ولى الله الدهلوى فى كتابه حجة الله البالغة حيث يقرر « أن ليلة القدر ليلتان : إحداها ليلة فيها يفرق كل أمر حكيم ، وفيها نزل القرآن جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك نجماً نجماً ، وهى ليلة فى السنة، ولا يجب أن تكون فى رمضان ، نعم رمضان مظنة غالبة لها، واتفق أنها كانت فى رمضان عند نزول القرآن . والثانية هى الليلة التى تنتشر فيها الأسرار الالهية فى الآفاق، وتجىء الملائكة إلى الأرض فيقبل المسلمون فيها على الطاعة ، وهم مشرق أنوار الملائكة حينئذ، وهى ليلة فى كل رمضان فى أوتار العشر الأواخر ، تتقدم وتتأخر فيها ولا تخرج عنها ، فمن قصد الأولى قال هى فى كل السنة ، ومن قصد الثانية قال هى فى العشر الأواخر من رمضان » .

وسورة القدر الشريفة تتحدث عن ليلة القدر الرمضانية من قوله سبحانه : « ليلة القدر خير من ألف شهر » إلى آخر السورة ، كما تحدثت عن ليلة القدر القرآنية فى الآية الأولى منها .

ويذكر الامام مالك بن أنس فى بلاغاته أنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر » ومع أنه لا ينبغى أن يختلف الناس فى أن المراد بالألف شهر هو المبالغة فى الكثرة وأن البركات فى هذه الليلة لا تعد ولا تحصر ، ولكننا مع ذلك نرى الأخبار حول الألف شهر تحاك وتحبك ، فمن ذلك ما رواه الترمذى وغيره وضعفه ابن جرير، وقال غيره إنه منكر ، قال : « قام رجل إلى الحسن رضى الله عنه لما بايع معاوية فقال سودت وجوه المؤمنين ، فقال :

لا تؤذنى يرحمك الله ، فان النبى صلى الله عليه وسلم قد رأى بنى أمية يعلون منبره خليفة بعد خليفة ، فشق ذلك عليه فأنزل الله سورة القدر ، قال فحسبنا ملك بنى أمية ، فاذا هو ألف شهر » .

هذا وتتدخل مسألة الأعداد فى معانى سورة القدر تدخلا تأباه قواعد التأويل الصحيح حتى لتتضارب مع السنة ، فمن ذلك ما ذكر الفخر الرازى أنهم نقلوا عن ابن عباس «أنه قال ليلة القدر تسعة أحرف وهو مذكور ثلاث مرات فتكون السابعة والعشرين » فهذا التأويل لا قيمة له علمياً أمام ما أخرجه البخارى فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان » .

وقد رسمت السنة الصحيحة لهذا التحرى المأمور به بعض المعالم .

منها ما فى صحيح مسلم عن أبى بن كعب «أن الشمس تطلع فى صبيحتها لا شعاع لها»

ومنها ما رواه ابن حبان فى صحيحه عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنى كنت أريت ليلة القدر ثم نسيتها وهى فى العشر الأواخر وهى طلقة بلجة ، لا حارة ولا باردة ، كأن فيها قمراً يفضح كواكبها ، لا يخرج شيطانها حتى يضىء فجرها » .

ومنها ما رواه أحمد من حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً « أنها صافية بلجة كأن فيها قمراً ساطعاً ساكنة ضاحية لا حر فيها ولا برد ولا يحل لكوكب يرمى به فيها ، وأن من أماراتها أن الشمس فى صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ، لا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ »

تلك علامات ظاهرية لعوام المسلمين لاغتنام بركات تلك الليلة .

وأما خواص الأمة من أرباب البصائر والقلوب فانهم كما قال ولى الله الدهلوى « إنما يدركونها بالذوق والوجدان بأن ينطبع شىء فى قلوبهم فيعلموا أن هنالك

قضاء نازلا ، وانتشاراً للروحانية، فالأنبياء عليهم السلام تنطبع تلك العلوم فى قلوبهم من الملأ الأعلى فيدركونها بالوجدان دون حساب الدورات الفلكية». وحق للمسلمين أن يتربصوا لاغتنام قبول الطاعات واستجابة الدعوات حين تتنزل الملائكة وجبريل فى هذه الليلة فيسلمون على المؤمنين ، وينفحونهم بروح من عند الله ومدد قدسى يملؤهم ودورهم وذريتهم بركات من السماء . روى ابن خزيمة من حديث أبى هريرة مرفوعاً « إن الملائكة تلك الليلة أكثر فى الأرض من عدد الحصى » . وعن الخليل بن أحمد سميت بليلة القدر لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة من قوله « ويقدر » وكلام الخليل هذا ليس بعيداً من النقل ؛ فهذا الفخر الرازى يحدث عن بعض أهل العلم أن الملائكة تنزل بأسرها فوجاً فوجاً، فمن نازل وصاعد إلى طلوع الفجر . واستئذانهم من الحق فى النزول إلينا يدل على غاية المحبة حتى روى عن على «أنهم ينزلون ليسلموا علينا ويشفعوا لنا ، فمن أصابته التسليمة غفر له ذنبه » . والمتأمل فى مروى على يرى أنه مخصص للآية التى تدل صراحة على أن الملائكة ينزلون فى هذه الليلة من كل أمر . قال جار الله : « أى تتنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل » لكن لامنافاة بين خبر على وقراءة « امرىء » قال الزمخشرى : «وقرىء من كل امرىء » أى من أجل كل إنسان ، قيل لا يلقون مؤمناً ولا مؤمنة إلا سلموا عليه فى تلك الليلة » وينتفع المسلم من سلام الملك عليه ولو لم يسمع من الملك سلامه بالاتجاه الروحى من الملك إلى المسلم عليه فيمتلىء قلبه نوراً وغبطة من تلك الامدادات ، فى حين يستجاب للملك ما طلبه من الأمان والطمأنينة باهداء لفظ السلام للمؤمن ، ولذلك كانت هذه الليلة ليلة سلام إلى طلوع الفجر ، فلا داء فيها ولا ألم ، روى ابن أبى حاتم من طريق مجاهد «لا يرسل فيها شيطان ولا يحدث داء» ومن طريق الضحاك « يقبل الله التوبة فيها من كل تائب وتفتح فيها أبواب السماء وهى من غروب الشمس إلى طلوعها » .

القرآن الكريم*

القرآن الكريم : هو اللفظ العربى ، المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، المنقول إلينا تواتراً ، المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة منه .

أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ، منجماً فى ثلاث وعشرين سنة ؛ ولم ينزله جملة واحدة كغيره من الكتب السماوية ، لتستعد القوى الانسانية لتلقيه ، ولتيسير كتابته وحفظه .

اشتمل ذلك الكتاب على مائة سورة وأربع عشرة ، منها مانزل قبل الهجرة ويسمى مكياً ، ومنها ما نزل بعد الهجرة ويسمى مدنياً . وكانت كلما نزلت آية أو سورة بلغها النبى إلى أصحابه ، وطلب منهم حفظها ، فيحفظونها ، ويتلون أمامه ماحفظوه ليتثبتوا من حفظه ، كما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولم يكتف النبى بتحفيظ أصحابه ، بل كان يأمر كتاب الوحى بكتابة ماينزل وقت نزوله ، وهم كثيرون : منهم زيد بن ثابت ، وعلى بن أبى طالب ، وعثمان ابن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاوية بن أبى سفيان. فكانوا يكتبون مايمليه عليهم فى الجلد ، وأطراف الجريد التى ليس فيها خوص ، والعظام ، مع ملاحظة ترتيب الآيات فى السور ، كما يأمرهم الرسول ، ولم ينتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى حتى عرض القرآن بعد تمامه عرضتين على جبريل ، ثم قرأه عليه أصحابه بعد ذلك على الترتيب المعروف ، وحتى جمع فى الصحائف ، غاية الأمر أن الصحائف والألواح التى كتب عليها لم تكن مجموعة بين دفتين فى مصحف واحد ، كما أنها لم تكن جميعها تحت يد واحدة ، بل كانت مفرقة عند الصحابة . وبقى القرآن فى تلك الصحف المفرقة عند الصحابة ، إلى أن كان حرب الردة ، فى خلافة أبى بكر

* ملخص درس لفضيلة المرحوم الشيخ محمود أبو دقيقة عضو جماعة كبار العلماء .

رضى الله عنه ، وكثر القتل فى القراء فى واقعة اليمامة ، فخاف سيدنا عمر أن يعم القتل جميع القراء فيذهب كثير من القرآن .

فعرض على أبى بكر رضى الله تعالى عنه جمع القرآن ، فلم يصادف هذا الأمر فى بدايته قبولا عند أبى بكر ، لكونه لم يفعل فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم . وعرض أبو بكر هذا الرأى على زيد بن ثابت فرأى ما رآه الخليفة .

ولكن عمر صمم على ما رآه ، ولا زال يؤيد رأيه حتى وافقا . فجمع أبو بكر الحفظة المعروفين بالاتقان ، فاجتمعوا مرة بعد أخرى . وأحضروا تلك الصحف التى كانت مكتوبة فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وأخذوا يقرءونها ويقابلونها حتى وصلوا إلى قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم . فان تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » فلم يجدوه ضمن المكتوب مع كونه محفوظاً عند الحفاظ . فما زالوا يبحثون حتى وجدوه مكتوباً عند أبى خزيمة بن أوس الأنصارى

وكذلك آية : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » من سورة الأحزاب ، فانهم وجدوها عند خزيمة بن ثابت ، فكتبوا القرآن آياته وسوره على الترتيب والضبط اللذين تلقوهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووضع عند أبى بكر ، فلما توفى كان عند عمر ، وبعد وفاته وضع عند السيدة حفصة أم المؤمنين بنت سيدنا عمر رضى الله تعالى عنهما . ولم تزل هذه الصحف عند السيدة حفصة حتى كانت خلافة سيدنا عثمان ، رضى الله تعالى عنه .

فأشار عليه بعض أصحابه أن يكتب للناس مصاحف ، ويرسلها إلى الآفاق ، التى انتشر فيها الاسلام ليجتمع المسلمون على مصحف واحد ، وحتى لا يقع فى القرآن زيادة ، ولا نقص ، ولا تبديل فى آياته ، ولا تغيير فى ترتيبه . فأرسل سيدنا عثمان إلى السيدة حفصة يطلب منها الصحف الموجودة عندها ، لتنسخ فى

المصاحف فأرسلتها حفصة إليه فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف ، وأرسل إلى مصر مصحفاً ، وأبقى بالمدينة مصحفاً ، وأمر بما سواه من الصحف أو المصاحف أن يحرق ، وصار الناس يقرأون على مصاحفه ويكتبون منها مصاحفهم .

ولم يكن ذلك المصحف مشكولا ولا منقوطاً ، واستمر هكذا إلى أن دخل فى الاسلام غير العرب من الفرس وغيرهم وفشا اللحن على الألسنة ، فخيف أن يقع اللحن فى قراءة القرآن، فطلب أمير العراق وهو زياد ، من أبى الأسود الدؤلى أن يضع للناس علامات تضبط قراءتهم ، فشكل أواخر الكلمات وجعل الفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة نقطة تحته ، والكسرة نقطة إلى جانبه، وجعل علامة الحرف المنون نقطتين . وانتشرت هذه الطريقة وعمل بها الناس لكنها لم تحفظ الألسنة من الخطأ كل الحفظ ، فدعت الحالة إلى نقط الحروف ، وشكل أوائل الكلمات وأواخرها وأوسطها ، فقام بنقط الحروف نصر بن عاصم بأمر الحجاج ، وقام بشكل الكلمات الخليل بن أحمد ، وجعل الفتحة ألفاً مسطوحة فوق الحرف ، والكسرة ياء تحته، والضمة واواً فى أعلاه ، ووضع علامات للمد والتشديد . ولقد عنى القراء والحفاظ من بعد ذلك بوضع فواصل بين آياته ، وعلامات تبين مواضع الوقف والابتداء فيه ، وعلامات أخرى تعين على إحكام تلاوته . وجرت عادتهم أن يبينوا فى أول كل سورة أهى مكية أم مدنية ، ويذكر عدد آياتها ، وما زال المسلمون من الملوك والأمراء وغيرهم يتنافسون فى تحسين كتابته ، ويتبارون فى تجويد قراءته يتلقاه خلفهم عن سلفهم ، إلى أن ظهرت المطابع فطبعت الألوف من نسخه فى جميع الجهات الاسلامية مع الاتقان والضبط .

ومن هذا تعلم أن المسلمين فى جميع الأعصار عنوا بالقرآن المجيد عناية لم يسبق لها مثيل فى التاريخ ، وهذا تحقيق لوعده تعالى فى قوله : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

تاريخ القرآن الكريم

١ — الباحث فى تاريخ القرآن الكريم إنما يعنى تاريخ ظهوره بيننا معشر أهل الأرض ، بنزوله على النبى صلى الله عليه وسلم ، وما تلا ذلك من جمعه وتدوينه والعناية به فى سائر الأعصار ؛ وإلا فكلام الله عز وجل قديم بقدمه تبارك اسمه ؛ وكيف يكون للقديم تاريخ وقد سبق كل تاريخ ؟

٢ — والباحث المسلم فى عصرنا هذا يجد فى طريق بحثه فى هذا الموضوع غبرات من الشبه والمطاعن يثيرها فرق من الناس :

« أولاها » فرقة من اليهود والمجوس والزنادقة ، دخلوا فى الاسلام فى إبان انتشاره ودولته ، وإنما دخلوا فيه ظاهراً ليحسنوا الكيد له فى الخفاء ؛ فمنهم من أولوا نصوص القرآن وحملوها على معان باطنية ، تنهار معها أصول الاسلام وفروعه ، وتنتكس بها العقائد والتكاليف الاسلامية رأساً على عقب ؛ ومنهم من أظهروا التشيع لأهل البيت الكرام قبيل انتهاء القرن الأول الهجرى ، واختلقوا أحاديث فى النيل من أبى بكر وعمر وأكثر الصحابة رضى الله عنهم ، وزعموا أن عثمان رضى الله عنه وسائر من معه من الصحابة والتابعين حرفوا القرآن ، وحذفوا منه كلمات وسوراً فى فضل على كرم الله وجهه حسداً منهم له وبغياً عليه ؛ وذكروا من هذه الكلمات والسور ما لو سكتوا عنه لكان أستر لهم وأقل خزياً وفضيحة .

وقد قام علماء الأمة من المتقدمين ببيان زيغهم ورد كيدهم فى نحرهم ، وتعقبوا الأحاديث وغربلوها ، ومازوا صحيحها من موضوعها ، وفى سبيل ذلك تتبعوا سير الرواة وفحصوا عن سجاياهم وعقولهم وأماناتهم وعلمهم وقوة ذاكرتهم واتصالهم بما

يروون، وغير ذلك مما يطمئن القلوب إلى صحة مروياتهم، وكرسوا فى ذلك جهوداً وأنفقوا أعماراً طوالا، مما أثار دهشة العالم الألمانى «اشبرَه نكر» حتى قال «إن الدنيا لم تر ولن ترى أمة مثل المسلمين؛ فقد درسوا بفضل علم الرجال الذى أوجدوه حياة نصف مليون[1] رجل».

«وثانية الفرق» فرقة من أهل الغرب دأبت منذ قرنين على البحث فى تاريخ الشرق والاسلام، وولعت باحياء ما اندثر من المؤلفات، ونشر ما طوته خزائن الكتب من المخطوطات. وإنه لعمل جليل من هؤلاء «المستشرقين» يستحق الاعجاب لولا أن أربابه دسوا فى شهده السم الزعاف، فنشروا فيما نشروا مؤلفات أهل الزيغ وأخرجوها من أكفانها، تؤذى بريحها ومنظرها وملمسها؛ وزادوا ضغثاً على إبالة، فاختطوا لأنفسهم طريقاً من البحث التاريخى ملتوية، أدت إلى نتائج خاطئة فى التاريخ عامة وتاريخ القرآن المجيد خاصة. وقد أفصح الدكتور «آثر جفرى» المستشرق الانجليزى ـ فى مقدمة كتاب المصاحف الذى قام بطبعه ـ عن بعض هذه النتائج، وشرح بوجه إجمالى، طريقة البحث التى أفضت إليها؛ وبين أن أساس كل بحث فى علوم القرآن فى أوربا هو كتاب «تاريخ القرآن» الذى ألفه «نولدكى» الألمانى ونشره سنة ١٨٦٠م، ثم فوض إلى تلميذه «شوالى» أن يقوم بالطبعة الثانية، فضم إلى الكتاب بحوثاً حديثة، وتوفى فى أثناء عمله، فأخذ «برجستراسر» فى تكميله، وبعد موته أتم تلميذه «برتزل» طبع الكتاب.

وطريقة البحث التى تمخضت عن هذه النتائج، بل مقدمة الدكتور «آثر جفرى» كلها، بحاجة إلى كشف ما بها من الفضائح، وبيان أنها أساس غير صالح للبناء عليه، وقد عنى بعض إخواننا الفضلاء بذلك، فكتب فيه سلسلة مقالات

(١) كذا قال. ومقصوده المبالغة فى الكثرة لا التحديد

فى مجلة الأزهر الغراء ، ولكنه شكر الله سعيه ـ لم يتم ما بدأ ، وكان هذا بعض ما حفزنى إلى الكتابة فى هذا الموضوع الخطير .

« وثالثة الفرق » جماعات تألفت فى أوربا وأمريكا للدعاية المسيحية ، وأرسلت رسلها إلى أقطار المعمورة ، ودعتهم بالمبشرين ، وأغدقت عليهم الأموال الطائلة ، واتخذتهم حكومات الاستعمار مطايا لأغراضها ؛ إذ عرفت أنها لا يمكنها أن تثبت أقدامها فى أمة إلا بتفريق كلمة أبنائها ، وأيقنت أن هذا التفريق إنما يكون بانحطاط الأخلاق وتزلزل العقائد المتوارثة،وتبين لها أن المبشرين إن لم ينجحوا فى نشر أديانهم بين المسلمين فقد ينجحون فى إفساد العقيدة الاسلامية بالتشكيك فى أصولها ، وبهذا ينمحى شبح التعصب الدينى الذى يجعل من الكثرة وحدة تعكر صفو المستعمر وتقلق راحته . وقد أخلص هؤلاء الدعاة للجماعات التى استخدمتهم ، وأتقنوا فن الدعاوة الكاذبة متمسكين بالمثل القائل: « إن الغاية تبرر الوسيلة » . ولهذا تراهم تارة يكشفون القناع، وطوراً يتسترون بثوب الخداع ، فيبثون سمومهم باسم البحث العلمى الخالص ، والتحليل التاريخى الصادق ، ودعوى أنهم مستشرقون لا مأرب لهم إلا التنقيب عن تاريخ الشرق دون تجن أو انحراف . ومن كتبهم « ميزان الحق » للدكتور « فندر » ناضل فيه صاحبه عن التوراة والانجيل وضمنه طعوناً فى القرآن الكريم ، ولما قام الأستاذ رحمة الله الهندى فى كتابه « إظهار الحق » بالرد على هذا الكتاب وكان رده قويا مفحما ، قام الدكتور « فسدل » بطبعه مرة ثانية بعد أن حذف منه عبارات كثيرة وضم إليه طعوناً جديدة ، وما صنعوه بهذا الكتاب صنعوه بغيره من الكتب ، فكلما ألفوا كتابا وقام أحد المسلمين ببيان عواره أعادوا طبعه بعد حذف وزيادة وربما غيروا اسمه واسم مؤلفه ليصير جديداً خالياً من الطعن ، وما ننس لا ننس كتاب « تذييل مقالة فى الاسلام » لقسيس متستر سمى نفسه بهاشم العربى وعرب كتاب مقالة فى

الاسلام لجرجيس سايل الانجليزى ووضع هذا التذييل تعليقاً على الفصل الثالث من الكتاب الذى عربه وأخذ أكثر أبحاثه من كتاب ميزان الحق . ومن مصائب الدهر أن بعض من يدعون البحث ممن يلبسون لباس المسلمين يسرقون من هذا الكتاب على سخافة أفكار مؤلفه ـ أبحاثاً ينشرونها على أنها أبحاث جديدة استكشفوها بطريقتهم العلمية . ولهم كتب أخرى كثيرة أبلى علماء الاسلام بلاء حسناً فى رد مفترياتها ، لكن كثيراً منها تجدد طبعه وأصبح بحاجة إلى نظر جديد .

« ورابعة الفرق » ـ وهى أخطرها ـ جماعة من كتاب الشرق وشعرائه تثقفوا ثقافة أوربية منذ أكثر من قرن ، فقرءوا فيما قرءوا مصنفات المستشرقين والمبشرين والزنادقة الذين قذفوا بالأديان كلها إلى عالم الميتولوجيا (الأساطير) فصادف ذلك منهم قلوباً زائغة وقلوباً متهيئة للزيغ ، فاستبطنوا الالحاد وأخذوا يهيئون الأذهان له بالدس فى مقالاتهم وقصائدهم ، حتى إذا أنس لهم كثير من المتعلمين والجاهلين لم يبالوا باظهار ما أضمروه ، فى حماية القوانين المرنة ، وغفلة الغيرة الدينية ، وتحت سلطان زعامتهم الأدبية ، وولايتهم أموراً فى الدولة أحياناً ، وساروا مذبذبين بين الاظهار والاخفاء والانبساط والانقباض مراعاة للظروف وملاءمتها ، وقد كثرت مقالاتهم ومؤلفاتهم المملوءة بالشبهات ، وإنه لعسير على فرد أن يلاحقهم ، فعلى كل ذى غيرة أن يقوم بما استطاع من جهاد فى ذلك .

« وخامسة الفرق » فرقة رأت طغيان أفكار أهل الغرب على عقول أهل الشرق ، والمغلوب مولع بتقليد الغالب كما يقول ابن خلدون ، فأرادوا تقريب الاسلام مما يعقله أهل الغرب ، استجلاباً لرضاهم ورضا المولعين بتقليدهم ، وتنصلا عن التهم الكثيرة التى يرمون بها الاسلام . وهذه نية صالحة تستوجب الحمد ، لكن الذى يؤسف له أنهم سلكوا لذلك أهون السبيلين عليهم وأبعدهما عن

الحق ، فتأولوا محكمات لا تخضع للتأويل ، وأنكروا مقررات لا تقبل الانكار ، فكانوا كطبيب يعالج أعراض الداء ويدع جرثومته تبيض وتفرخ ، حتى يقضى على المريض وهو معذب بآلام المرض والعلاج جميعاً ، وقد أساء بهم بعض علمائنا الظن ، فجعلوهم من الفرقة الرابعة التى استبطنت الالحاد ، لما جروه على الاسلام والقرآن من الشبه بمسلكهم المعوج .

وهناك فرق سوى هذه من كذبة القصاص ووضاع الأحاديث وجهلة المؤلفين ومحبى الشهرة والتجديد ، ظهر لهم من الروايات الباطلة والمؤلفات الفاسدة ماهو بحاجة إلى علاج حاسم .

من هذه المقدمة يتبين خطر هذا الموضوع وأنه يجب أن يحاط بسياج من التحقيق العلمى تتكسر دونه أمواج الشبهات التى يسوقها الجاهلون ، وترتد عنه أعاصير المطاعن التى يثيرها الزائغون ، وما أكثر هؤلاء وأولئك ، وما أكثر المغترين بزخارف أقوالهم والواقعين فى حبائل أساليبهم !.

على حسن البولاقى

المدرس بالأزهر

طالب علم

حضر الشريف التلمسانى وهو صبى درس الأستاذ أبى زيد بن الامام ، فذكر الأستاذ أبو زيد نعيم الجنة ، فقال له الشريف : هل يقرأ فى الجنة العلم ؟ فقال أبو زيد : نعم ، فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين . . . فقال الشريف : لو قلت لا ، لقلت لك : لا لذة فيها ! . فعجب منه الشيخ ، ودعا له .

جمـــع القرآن
- ٢ -

بقية بحث : جمع القرآن بمعنى حفظه

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله ابن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرؤها » .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن عمر بن هياج الكوفى قال : حدثنا الحسين بن عبد الأعلى قال حدثنا محمد بن الحسن الهمدانى عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائى أعطيته أفضل ثواب الشاكرين » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه » ثم قال : تفرد به محمد بن الحسن ولم يتابع عليه .

وقال الطبرانى حدثنا معاذ بن المثنى قال حدثنا إبراهيم بن أبى سويد الذارع قال حدثنا صالح المرى عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أى الأعمال أحب إلى الله ؟ فقال : « الحال المرتحل » قال : يارسول ماالحال المرتحل ؟ قال « صاحب القرآن : يضرب فى أوله حتى يبلغ آخره ، وفى آخره حتى يبلغ أوله » إلى غير ذلك من الأحاديث .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبعث إلى من كان بعيد الدار من الصحابة من يعلمهم ويقرئهم ؛ فقد بعث مصعب بن عمير وابن أم مكتوم إلى أهل المدينة قبل هجرته يعلمانهم الاسلام ويقرئانهم القرآن . وأرسل معاذ بن جبل إلى مكة بعد

هجرته للتحفيظ والاقراء . قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه : كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل منا يعلمه القرآن . وكان يسمع لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ضجة بتلاوة القرآن حتى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا » .

قال الامام ابن الجزرى فى النشر : إن الاعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور ، لا على خط المصاحف والكتب ، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة ، ففى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن ربى قال لى قم فى قريش فأنذرهم ، فقلت له : أى ربى إذاً يثلغوا رأسى حتى يدعوه خبزة ، فقال : إنى مبتليك ومبتل بك ، ومنزل عليك كتاباً لا يغسله الماء ، تقرؤه نائماً ويقظان ، فابعث جنداً أبعث مثلهم ، وقاتل بمن أطاعك من عصاك ، وأنفق ينفق عليك » فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج فى حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء ، بل يقرأ فى كل حال كما جاء فى صفة أمته : « أناجيلهم فى صدورهم » وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا فى الكتب ، ولا يقرءونه كله إلا نظراً لا عن ظهر قلب .

من هذا كله تعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرىء القرآن بعض الصحابة ويهتم بأن يحفظوه ، وأن الصحابة كانوا يهتمون بحفظه وإتقانه حتى إن زيادة حرف أو نقصه كانت تظهر ظهوراً يدعو إلى مراجعة بعضهم بعضاً من شدة الحرص والمحافظة على نصوص القرآن الكريم .

حفاظ القرآن من الصحابة رضى الله عنهم

كان الصحابة رضى الله عنهم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم يحفظون القرآن، غير أنهم كانوا فى حفظه على طبقات مختلفة ودرجات متنوعة: فمنهم من كان يحفظه

كله عن ظهر قلبه ويجمعه على صفحات صدره ، ومنهم من كان يحفظ بعضه على حسب اقتداره وفراغه من خوائج المعاش وتدبير المصالح الدنيوية وملازمة الحضرة النبوية ؛ ومنهم من كان يكتبه على الصحف والرقاع والألواح والعسب والأكتاف خوف ضياعه ونسيانه لعدم الوثوق بأن الحافظة تؤدى وظيفتها على الاستمرار والدوام ، وتحصيلا للذتى السمع والبصر عند القراءة .

والذين حفظوا القرآن كله وأكملوه فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم أو بعد وفاته كانوا جماً غفيراً ، منهم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، وسعد ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وأبو هريرة ، وابن عمر ، وابن عباس ، وعمرو بن العاص ، وابنه عبد الله ، ومعاوية ، وابن الزبير ، وعبد الله بن السائب ، وعائشة ، وحفصة ، وأم سلمة ، وتميم بن أوس الدارى ، وعقبة بن عامر ، وأبو موسى الأشعرى ؛ ومنهم أبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو الدرداء ، ومجمع بن جارية ، وأنس بن مالك ، وأبو زيد الذى سئل عنه أنس فقال أحد عمومتى ، وعبادة بن الصامت ، ومعاذ الذى يكنى أبا حليمة ، وفضالة بن عبيد ، ومسلمة بن مخلد ، وأبو أيوب الأنصارى ، وسعد ابن عبادة الخزرجى الأنصارى ، وأم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارية ، وسعد أو سعيد بن عبيد الأنصارى .

فريد العبادى المدرس بالأزهر

دعوة الله

قال شاعر :

وإنى لأغضى مقلتى على القذى ... وألبس ثوب الصبر أبيض أبلجا
وإنى لأدعو الله والأمر ضيق ... علي فما ينفك أن يتفرجا
وكم من فتى ضاقت عليه وجوهه ... أصاب لها فى دعوة الله مخرجا

من طرائف القرآن الكريم

من خلال هذا العنوان الذى نظرنا به إلى طرائف كثيرة فى هذا القرآن العجيب ، نريد أن ننظر إلى قصة موسى والعبد الصالح[1] لننظر إليها لا من حيث الشرح لمفرداتها والسرد لحوادثها ، واستنباط العبر والفوائد من وراء سوقها فى القرآن ؛ فذلك نوع من الدراسة لا يكاد يستعصى على متعلم شب عن الطوق فى التعليم إحرازه وتحصيله .

لننظر إليها إذن من حيث نوع آخر من الدراسة قد يجد القارىء فيه شيئاً من المتعة مع الجدة . لننظر إليها من حيث المعانى التى هى واحدة أو كالواحدة لكنها تذكر فى أكثر من موضع بعبارات مختلفة وتراكيب يغاير بعضها بعضاً ؛ الأمر الذى راح البعض يعزوه إلى أن قصص القرآن ما هو إلا عمل أدبى وحبك فنى يعتمد على السبك والاخراج أكثر مما يعتمد على الصدق والوقوع فى الخارج ؛ بينما راح بعض آخر يعزوه إلى ضعف بلاغى أو تلفيق خيـــالى أو ضلال فى تلمس الحقائق .

فاذا كان ذلك كذلك ، وكان هذا التكرار مع الافتراق لا إلى ذلك ولا إلى ذلك ، وإنما هو لأسرار تتعلق باعجاز القرآن و بلاغته ، مع عدم المجافاة للحقيقة والواقع الخارجى ، وكنا نريد أن ننزع فى بيان ذلك منزع التفصيل بعد الاجمال فبنا فى سبع مفارقات نتناول بالدرس والتحليل ما عسى أن يسأل عنه من هذا القبيل فى هذه القصة .

(١) راجع الكهف من الآية ٦٠ إلى الآية ٨٣ .

المفارقة الأولى : فى الحديث عن الحوت فى الآية ٦١ « فاتخذ سبيله فى البحر سربا » وفى الآية ٦٣ « واتخذ سبيله فى البحر عجبا » فما الذى أوجب « سربا » تارة « وعجبا » أخرى ، وكون كل حيث كانت ؟

والجواب : أنه اختلاف بغير تناقض للتفنن والتنويع بإبراز المعنى الواحد بأكثر من طريقة مع تحصيل أسرار ودقائق تحصل من وراء ذلك . فالسبيل والسرب فى الآية الأولى مفعولا الاتخاذ ، والفعل مسلط عليهما ككل مفعولين أول وثان . أما « عجبا » فى الآية الثانية فالأشبه أنها صفة ، والتقدير فاتخذ سبيله فى البحر اتخاذاً عجبا ، أو سبيلا عجبا . ولما كانت « سربا » اسماً ، وكانت « عجباً » صفة ، وكان الاسم على ما علم من العربية بالضرورة مقدماً على الصفة ، كان وقوع المقدم فى المقدم ، والتالى فى التالى ، من الجودة بمكان .

المفارقة الثانية : فى قوله تعالى الآية ٧١ « فانطلقا حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها » مع قوله تعالى فى الآية ٧٤ : « فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله ، قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس » فالخارق للسفينة والقاتل للغلام هو العبد الصالح ، والمنكر عليه فعله هو موسى ، وكان الثانى قد قال للأول « هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا » فقال له « إنك لن تستطيع معى صبرا ، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا » ، فقال موسى « ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمرا » ولما كان جواب إذا دائماً محط الفائدة المرموق بالذكر أولا وبالذات ، كان الظاهر أن يقع إنكار موسى على العبد الصالح جواباً لإذا فى الآيتين ، لأن السياق يهدف إلى بيان ذلك منه بعد ما كان بينهما من حوار ، فما باله وقع جواباً لها فى الآية الثانية دون الأولى . ؟

والجواب : أنه لما كان الانكار الأول فى الآية الأولى فى الجولة الأولى حين خرق السفينة ، اكتفى بإيقاع الخرق جواباً لإذا ، وجعل إنكار موسى بعده

على سبيل الاستئناف كأنه مما يتسامح فيه لأول مرة ، ولكن لما كان الانكار الثانى فى الآية الثانية فى الجولة الثانية حين قتل الغلام ، وكان موسى بعد إنكاره خرق السفينة قد عاتبه العبد الصالح بقوله « ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا » فقال له موسى « لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا » ـ كان هذا الانكار الثانى من موسى أشد غرابة لا يكاد يتسامح فيه لثانى مرة ، فاستشراف النفس وتطلعها إليه وترقبهاله ، أكثر من سابقة ، فكان وقوعه دونه جوابا لاذا من الفصل بين المقامات وإصابة المحاز بمكان، ألا يرى كيف وقع جواباً لاذا فى الآية الثالثة فى الجولة الثالثة فى قوله تعالى : « حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا » ؟ وكيف كان ذلك بعد سابق اعتذاره عن الانكار الثانى وقوله للعبد الصالح « إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا » .

المفارقة الثالثة : فى حكاية قول العبد الصالح لموسى الآية ٧٢ « ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا » . وقوله له مرة أخرى الآية ٧٥ « ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا » ، فان الآية الثانية تزيد على الآية الأولى كلمة لك ؛ فهل من سر لهذه الزيادة ؟ .

والجواب : أن المقالة الأولى كانت عند الجولة الأولى عند الاستنكار الأول من موسى بخصوص خرق السفينة ، فكانت موفية بالغرض ؛ أما الثانية فكانت فى الجولة الثانية عند الاستنكار الثانى من موسى بخصوص قتل الغلام بعد سابق اعتذاره عن الاستنكار الأول ، فناسبت فيها هذه الزيادة لتوكيد المعنى وتقوية الخطاب بالعتاب .

المفارقة الرابعة : فى حكاية قول موسى للعبد الصالح فى خرق السفينة : « لقد جئت شيئاً إمراً » مع قوله له فى قتل الغلام « لقد جئت شيئاً نكرا » . فالإمر فى الأولى ، والنكر فى الثانية . وإذا علمنا أن قتل الغلام بغير ذنب أشنع وأبشع من مجرد خرق السفينة الذى قد يفضى إلى الغرق وقد لا يفضى ، وأن لفظ النكر أدل على المنكر المستقبح من لفظ الإمر ، أدركنا تناسب كل لفظ بموقعه .

المفارقة الخامسة : فى حكاية قول العبد الصالح لموسى فى خرق السفينة : « فأردت أن أعيبها » ، وفى قتل الغلام « فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً » وفى إقامة الجدار لليتيمين « فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما » . فالارادة الأولى مسندة إلى العبد الصالح المتكلم ، والثانية إلى الضمير « نا » والثالثة إلى الرب مع أن الجميع من فعل العبد الصالح ، فهل من حكمة لهذه التفرقة » (١) ؟ .

والجواب : أن إسناد الارادة الأخيرة إلى الرب لأنها تعلقت بفعل حسن لا يصدر على الأصل والحقيقة إلا من الله المتكفل بصلاح الأبناء لحق الآباء ، مع ما تشعره لفظة الرب من التربية ، ومناسبة التربية لحال اليتيمين . أما إسناد الارادة الأولى للعبد الصالح المتكلم فلأنها تعلقت بفعل الاعابة للسفينة ، والاعابة وإن كانت فى الحقيقة من الله ، وهى أمر حسن باعتبار الغاية منه ، إلا أنه تحوشى إسنادها إلى الله ، وأسندت إلى العبد الصالح المتكلم ، مراعاة للفظها ولظاهر الحال. أما إسناد الارادة الوسطى إلى ضمير « نا » فلأن القتل أشنع الثلاثة ، فأراد أن يدل على أنه لم يفعله إلا لرسوخ قدمه فى علوم حكمة الله وأسرار قضائه وإرادته ، فعبر بالعبارة المشعرة بهذه المعانى فقال : أردنا ، بادماج إرادته فى إرادة الله .

(١) لا تكاد تستقيم لك هذه الدراسة حتى تكون القصة بين يديك تماين ما نشير اليه من الآيات وتستحضر من المعانى ما يجب أن تكون قد انتهيت منه لتبدأ هذه الدراسة .

المفارقة السادسة : فى حكاية قول الخضر لموسى : « سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا » ثم قوله له بعد تأويل هذه الأفعال و بيان الحكمة فيها « ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا » بحذف التاء من فعل الاستطاعة فى الآية الثانية بعد وجوده فى الآية الأولى ؛ فهل من سر لوجود حرف التاء تارة دون أخرى ؟

والجواب من وجهين لا ترى أحدهما إلا أوجه من الآخر .

الأول : أن هذه الأفعال قبل تأويلها ثقيلة على النفس لجهل سرها ، وبعد تأويلها تجد النفس لها خفة ووضوحا ؛ فاذا علمنا أن الحذف أخف من الذكر كما هى القاعدة العربية ، وأن اللفظ الذى لا حذف فيه وقع أولا عند الحديث عن هذه الأفعال قبل تأويلها ، وأن اللفظ الثانى الذى وقع فيه الحذف وقع ثانياً عند الحديث عن هذه الأفعال بعد تأويلها — أدركنا أن ذلك من وضع الأثقل فى الأثقل والأخف فى الأخف .

الثانى : أن عالم المجهول أصل بالنسبة للانسان [1] والذكر أصل بالنسبة للحذف، فوقعت اللفظة التى لا حذف فيها فى الحديث عن الأفعال قبل علم أسرارها ، ووقعت اللفظة ذات الحذف فى الحديث عن الأفعال بعد علم أسرارها ، فكان ذلك من وضع الأصل فى الأصل والفرع فى الفرع .

المفارقة السابعة : فى ذكر بلدة اليتيمين أول الأمر بعنوان القرية الآية ٧٧ مع ذكرها فى ثانى الأمر بعنوان المدينة الآية ٨٣ ، هل من سر لهذه المغايرة ؟ .

والجواب أن المدلول واحد فى ذاته ، لكنها عنونت بالقرية أول الأمر فى سياق بيان بخلها ؛ لأن البخل فى القرى أشنع كما قيل «شر القرى من ضيع القرى» ؛ وعنونت بالمدينة فى ثانى الأمر فى سياق خوف ضياع اليتيمين ، ولعله فى المدن أكثر منه فى القرى .

عبد الغنى عوض الراجحى
مبعوث الازهر بكلية المقاصد الاسلامية فى صيدا . لبنان

(١) « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة لعلكم تشكرون » . سورة النحل الآية ٧٨ .

اختلاف المطالع

لو رئى الهلال فى تركيا ولم ير فى مصر مثلا يجب على أهل مصر الصوم برؤية تركيا فى ظاهر الرواية عند أبى حنيفة وأصحابه، وهو الصحيح عندالحنابلة ، وكذا هو مذهب المالكية . فبناء عليه لو صام أهل بلدة ثلاثين يوماً وأهل بلدة أخرى تسعة وعشرين يوماً يجب عليهم قضاء يوم . وفى غير ظاهر الرواية وهو المعتمد عليه عند الشافعية يعتبر اختلاف المطالع، لأن كل قوم مخاطبون بما عندهم ، ولما روى عن كريب أن أم الفضل بعثته إلى معاوية بالشام ، قال فقدمت الشام فقضيت حاجتها ، واستهل على شهر رمضان وأنا بالشام، فرأيت الهلال ليلة الجمعة ، ثم قدمت المدينة فى آخر الشهر ، فسألنى عبد الله بن عباس، ثم ذكر الهلال، فقال : متى رأيتم الهلال ؟ قلت: ليلة الجمعة ، فقال: أنت رأيته ؟ قلت: نعم، ورآه الناس وصاموا وصام معاوية ، فقال : لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه ، فقلت : أولا تكتفى برؤية معاوية ؟ فقال : لا ، هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه الجماعة إلا البخارى وابن ماجه .

ولنا حديث « صوموا لرؤيته » وهذا لا يختص بأهل ناحية على انفراد بل هو خطاب لكل من يصلح له من المسلمين ، فالاستدلال به على لزوم رؤية أهل بلد لغيرهم من أهل البلاد أرجح من الاستدلال بحديث ابن عباس على عدم اللزوم ، لأن حديث ابن عباس اجتهاد منه والمرفوع مقدم .

صـــوم يوم الشك

يوم الشك هو الذى يلى التاسع والعشرين من شعبان ، لأنه لا يعلم كونه يوم الثلاثاء لاحتمال كونه أول شهر رمضان .

حكم صومه : أما عند أبى حنيفة وأصحـــابه فيجوز صومه تطوعاً لله سبحانه وتعالى ،وروى عن عائشة وأسماء أختها أنهما كانتا تصومان يوم الشك ، قالت عائشة : لأن أصوم يوماً من شعبان أحب إلى من أن أفطر يوماً من رمضان . وهذا أيضاً قول الليث والأوزاعى وأحمد وإسحاق .

وذهب آخرون إلى أنه لايجوز صوم آخر يوم من شعبان تطوعاً إلا أن يوافق صوماً كان يصومه ، روى ذلك عن عمر بن الخطاب وعلى وعمار وحذيفة وابن مسعود وسعيد بن المسيب والشعبى والنخعى والحسن وابن سيرين ، وهو قول الشافعى ، لما فى البخارى عنه صلى الله عليه وسلم « لا يتقد من أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم » .

ولنا ما روى مسلم من حديث هداب بن خالد عن عمران بن حصـــين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أو لآخر « أصمت من سرر شعبان ؟ قال : لا ، قال . فاذا أفطرت فصم يومين » فيحمل حديث البخارى المتقدم على أن المراد النهى عن التقدم بصوم يومين من شعبان على أنهما من رمضان ، قال الترمذى بعد ما ساق حديث النهى عن تقدم صوم رمضان بيوم أو يومين « العمل على هذا عند أهل العلم : كرهوا أن يتعجل الرجل الصيام قبل دخول رمضان » .

من قوانين التشريع
لابن جابر المصرى

السنة الأولى

العدد السابعُ